Retirer le filigrane maintenant

الحصّــــة التّطبـيقيــــة الرّابعـــــــــة:

مجالـــس الخليفــة المأمـــون

عاش "**المأمون**" في كنف أبيه الرّشيد، وشهد مجالسه، وشارك في مناظرات وحوارات تلك المجالس، وتثقّف ثقافة عالية، وكان ذكيّا طموحا، درس على يد علماء عصره، وشهد تطوّر الثّقافة وأسهم في تطوّرها وإنضاجها، وكان يميل إلى الاطّلاع على علوم الأمم الأخرى، من فرس ويونان وهنود، فشجّع التّرجمة، وقرأ كتب الفلاسفة والمناطقة، وكانت مجالسُه حافلة بضروب من العلوم والفنون. وكان يقرّب العلماء ويسمع محاوراتهم ومناظراتهم في شتّى علوم المعرفة الدّينية واللّغوية والأدبية والعلمية.

1- مجالس المأمون مع الشّعراء والأدباء:

حين قامت الحرب بين الأمين والمأمون، ودخل المأمونُ بغدادَ منتصرا، تزاحم الشعراء على مجلسه يريدون التقرّب والمديح، فيأذن لهم، ويتعاقب الشّعراء على مديحه فيجيزهم. ومن ذلك أنّه قال للشاعر "**محمّد بن الجهم**": أنشدني أحسن ماسمعتَه في المديح. فقال "**ابن الجهم**": نعم يا أمير المؤمنين، قوله:

تجود بالنفس إذ ظنّ الجوادُ بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

فقال المأمون: أنشدني أخبث ماسمعته في الهجاء، فقال:

قَبُحت مناظرُهم فحين خبرتُهم ... حَسُنت مناظرُهم لقبح المخبرِ

فقال المأمون: أنشدني أحسن ماسمعته في المراثي، فقال:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوّه ... فطيب تراب القبر دلّ على القبرِ

ومثله أيضا:

على قبره بين القبور مهابة ... كما قبله كانت على ساكن القبر

pdfelement

Retirer le filigrane maintenant

فقال المأمون: فأنشدني أحسن ماسمعته في الغزل، فقال:

□بّ مجدّ و□بيب يلعبُ وأنت ملقى□ينهم معذّبُ

وأعجب "**المأمون**" بحفظ "**□ان الجهم**" فكافأه، بأن ولّاهُ الجبلَ(الصّيرمة، والسّيروان، ومهرجان قذف، والدّينور، ونهاوند).

وكان **المأمون** يسائل مجالسيه من الشّعراء عن بعض الأشعار ويصحّح لهم ويروي أشعارا من معان معيّنة. كما كان يميل إلى فنون من الشّعر مثل الغزل والحكمة والرّثاء، أمّا المديحُ فكان يكتفي منه بأبيات، وإذا جاوز الشاعرُ الحدّ، يوقفه ويقول: حسبك.

ويبدو أنّ **المأمون** يستجيد الشّعر الذّي يكون ملائما للمناسبة وطبيعة الظّرف، فقد أنشده "**أو□عفر أ□مد□ن محمد**" شعرا في المدح فيه غزل وطرب، وكان المأمون خارجا للغزو، فنهره وأعلمه أنّ هذا لا يناسب ما هم فيه من جدّ واستعداد للقتال.

كما كان "المأمون" يحب أن يذكَّر بين آونة وأخرى بالموت والآخرة، فكان يرسل إلى "**أ□ي العتاهية**" لينشده ماقاله في الزهد والموت، روى "**المعلّى□ن أيوب**" قال: دخلتُ على المأمون يوما، وهو مقبل على شيخ حسن اللّحية، خضيب شديد بياض الثّياب، على رأسه لاطئة (قلنسوة صغيرة)، فسمعتُ المأمون يقول له: أنشدني أحسن ماقلتَ في الموت، فأنشده:

أنساك محياك المماتا فطلبتَ في الدنيا الثباتا

أوَقتَ□الدنيا وأنـ ت ترى□ماعتها شتاتا

وعزمتَ منك على الحيا ة و□ولها عزما□تاتا

يا من رأى□أ□ويه فيـ من قد رأى كانا فماتا

هل فيهما لك عبرة أم خلت أنّ لك انفلاتا

2- **مجالس المأمون في الفصا□ة والبيان:**

pdfelement

Retirer le filigrane maintenant

كان **المأمون** حريصا على سلامة اللّغة، وكان ينفر من اللّحن، ويوصي أولاده بتعلّم العربية، فممّا قال في ذلك يوصي أولاده: **(ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيمها أودَه، ويزيّنها مشهدَه، ويفلّها جج خصمه، مسكتات كمه، ويملك مجلس لطانه ظاهر يانه، أو يُسَرُّ أحدكم أن يكون لسانُه كلسان عبده أو أمته، فلا يزال الدهر أسير كلمته).**

وكان **المأمون** يحب في جليسه أن يكون فصيحا عالما باللّغة والشّعر والأدب، وكان يسأل عن أمثال هؤلاء. وكان النّاس يعرفون علمه وحبّه للفصاحة، وعُرف عنه أنّه: **"من أعلى الخلفاء مكانا وأوسعهم علما".**

وكان **المأمون** يحبّ الكلام البليغ، ويُعجب بالرّسائل التي تتميّز بأسلوب فيه فصاحة وبيان. كما كان يحبّ في الكتب أن تكون موجزة، الإيجاز البليغ في غير إخلال، والبعيد عن الإطناب، يُروى أنّه كان يقول:**(ما أعجب كلام أحد، كإعجابي كتاب القاسم بن عيسى، فإنه: يوجز في غير عجز، ويصيب مفاصل الكلام، ولاتدعوه المقدرة إلى الإسناب، ولا تميل به الغزارة إلى الإسهاب. يجلي عن مراده في كتابه، ويصيب المغزى في ألفاظه).**

pdfelement

Retirer le filigrane maintenant

الحصّـــــة التطبيقيـــــــة الخامســـــــة:

أ□ر أر□طـو في كتا□ات الفار□ـي

" **الفار□ي**" الملقّب بـ "المعلّم الثّاني"، أمّا المعلّم الأوّل فهو "**أر□طو**" الذّي أتى بعلم جديد هو **المنطق**، و"الفارابي" بشرحه لعلم المنطق وتبسيطه، وإضافة بعض الأمور إليه، أصبح بذلك "المعلّم الثّاني" بعد أرسطو.

أمّا من حيث الترتيبُ في بنية الفلسفة الإسلامية، فالفارابي يُعدّ ثاني الفلاسفة المسلمين بعد "الكِندي"، أمّا من حيث التأثير فالفارابي يُعدّ مؤسّس الفلسفة الإسلامية الحديثة.

وُلد "**أ□و نصر الفار□ي**" سنة **260** للهجرة، الموافق لـ **874** للميلاد في مدينة فاراب، وتوفي سنة **339** للهجرة، الموافق لـ **950** للميلاد في دمشق، تلقّى علومه الأولى بمسقط رأسه، حيث درس الرياضيات، الأدب،...كما حفظ القرآن الكريم في سنّ مبكرة، وأجاد العديد من اللّغات.

يُقال إنّ "**الفار□ي**" بدأ الاهتمام بالفلسفة بالصّدفة، لأنّه في بداية حياته لم يكن مهتمّا بها؛ حيث أودع لديه أحدُ أصدقائه كتبا لأرسطو إلى حين عودته، فعكف على قراءتها، فشدّته مادتُها، فعقد العزم على التوسّع في دراستها، وترك مدينته متوجّها إلى مدينة العلم والعلماء "**□غداد**" لأجل هذه الغاية، وكان عمره آنذاك حوالي الخمسين عاما.

بالنّسبة لمذهب "**الفار□ي**" الفلسفي، فهو يرتكز بالأساس على فلسفة أرسطو والفلسفة اليونانية القديمة؛ حيث إنّه وضع ركيزة أساسية تقوم عليها كلّ دراساته الفلسفية، ألا وهي أنّه يوجد إله يقف وراء كلّ هذا الكون، وبالتّالي فإنّ الفارابي قد قسّم هذا الوجود إلى قسمين:

- وا□ب الو□و□ ذاته (الله).

- مُمكنُ الو□ود.

pdfelement

Retirer le filigrane maintenant

1- واجب الوجود ذاته (الله):

وهو الموجود الأوّل الذّي لم يسبقه شيء على الإطلاق، وهو سبب وجود ذاته، وهو أزليّ أبديّ دائم الوجود, وحسب رأي "الفارابي" فـ"واجب الوجود" ليس لوجوده أيّة غاية، ولا شريك ولا ضدّ له، أي ليس له مساو في الرّتبة، فهو الكامل التّام واللّامحدود، ولا يشبهه أيّ شيء، وبالتّالي فهو ليس مادّة، لأنّه لو كان مادّة فهو بذلك يشبه أيّ شيء آخر نعرفه، لذلك – حسب الفارابي- فإنّ "واجب الوجود" هو "**عقل محض**"؛ ولا يَقصد بالعقل ذاك العقل المادي، وإنّما يقصد "**الفكر**"، أي إنّ الفكر لا يستطيع أيّ أحد أن يراه أو يلمسه، أي لا يشبه أيّ شيء موجود.

ومادام "واجب الوجود" عقلا محضا، فلا بدّ أن يكون هناك تفكير لهذا العقل، وبالتّالي فإنّ التفكير في الأمور الأقلّ منه درجة، تنتقص من قيمته، وكما نعلم: كلّ الأشياء الموجودة في هذا العالم هي أقلّ منه رتبة، وهذه إشكالية؛ **إذن ما هي مادّة فِكرِ اللهِ أو العقلِ المحض؟**

الإجابة - حسب الفاربي- هي: أنّ مادّةَ فكر الله هي ذاتُهُ؛ أي يفكّر في ذاته، قدرته، أزليته،...

pdfelement

2- ممكن الوجود:

والسّؤال الذّي يُطرح الآن:

كيف وُجدت كلّ الموجودات منه أو عنه (أي من الله)؟

الإجابة تشرحها "**نظرية الفيض**" للفارابي بطريقة عقلية فلسفية؛ يتصوّر الفارابي أنّ الله لم يخلق هذا العالم، كما نتصوّر نحن باعتبارنا مسلمين، وإنّما هذا الوجود ماهو إلاّ "**فيض**" عن وجود الله؛ أي إنّ هذا الوجود قد فاض عن الله بشكل ضروري وحتمي، أي لم تكن له أيّة غاية من هذا الفيض، وكأنّها عملية " أوتوماتيكية".

Retirer le filigrane maintenant

كما أنّ هذا الوجود لا يُنقِص من كمال الله شيئا، تماما كالنّور الصّادر من الشّمس لا يُنقص من الشّمس شيئا، وهذا "الله" لا يصدر عنه شيء ناقص، أي هو شيء يشبهه لكن بدرجة أقلّ.

بهذه النّظرة ابتعد "**الفارابي**" كليا عن مفهوم الخالق في الفلسفة اليونانية الذّي كان بعيدا كلّ البعد عن هموم الإنسان البسيط، والذّي لم يخاطب الإنسان يوما، ولكنّ "**الفارابي**" ظلّ ملتقيا مع فكر أرسطو في نقطة أنّ قرار الخلق لم يكن عبثيّا ولا متسرّعا.

استخدم "**الفارابي**" فكرة "**الفيض**" اليونانية التّي كانت تختلف عن فكرة الخلق في الدّيانات التّوحيدية، فحسب النظرية اليونانية، فإنّ النّشوء يبدأ من كينونة أوّلية ثابتة، ولكنّ سلسلة النّشآت تخضع لقوانين طبيعية بحتة وليس لقوانين دينية أو إلهية، وبالتّالي فالإنسان – حسب الفارابي- بالرّغم من منشئه على هذه الأرض، فإنّه امتداد لسلسلة من أطوار النّشوء التّي بدأت من المصدر إلى السّماء العليا، إلى الكواكب والشّمس والقمر، وهذا التّحليل بطبيعة الحال مخالف لفكرة القرآن عن خلق الإنسان، وفكرة الفيض. هذه عيّنة من بين العديد من الأفكار التّي تأثّر فيها الفارابي بالفلسفة اليونانية عامّة والأرسطية خاصّة.

pdfelement

Retirer le filigrane maintenant

الحصّـــة التطبـــيقيـــة السّادســـــــة:

تجلّيات الشّعوبية في أشعار بشّار بن برد

لمّا طوّح العبّاسيون بالأمويين، وقوّضوا سلطانهم، وردّوا الاعتبار إلى الموالي، ورفعوا من قدر الخراسانيين، ضَعُفَ شعورُ "**□شار□ن□رد**" بالانتماء إلى "**قيس**"، وأخذ يتأثّر بالشّعارات الإسلامية التّي أطلقها العباسيون معلنين فيها أنّ العرب وغيرهم من المسلمين متكافؤون في الحقوق والواجبات، فمهّد له ذلك السّبيل إلى التبرّئ من ولائه للعرب، فإذا هو يهتف أنّه مولى الله، وأنّ الاعتصام بحبله خير من محالفة أعزّ القبائل وأقواها كـ" **تميم وقريش**"، يقول:

أصبحتُ مولى ذي الجلال و□عضُهُم مولى العُريبِ فخذ□فضلك وافخر

مولاك أكرمُ من تميم كلّها أهل الفِعال ومن قريش المشعر

فار□ع إلى مولاك غير مدافع □بحان مولاك الأ□لّ الأكبر

pdfelement

وكانت هذه المرحلة الأولى لتنكّره للعرب، وتململه هو والموالي، وسعيهم إلى الانفلات من الكيان القبلي العربي، والتفرّد والبروز في المجتمع العبّاسي.

ثمّ إنّه عندما رأى العبّاسيين زمنَ "**أ□ي□عفر المنصور**" يستمرّون في تآلفهم للموالي والخراسانيين، لم يلبث أن راح يصرّح بنسبه الخراساني، ويفتخر به، مدّعيا أنّه من سلالة ملوك العجم، ولكنّه كان محتاطا لنفسه أشدّ الاحتياط في هذه المرحلة الانتقالية الحرجة، التّي كان النّفوذُ الفارسي الخراساني يسير فيها جنبا إلى جنب مع النّفوذ العربي في القصر العبّاسي.

حتّى إذا رسخ وجودُ الفرس والخراسانيين في المجتمع العبّاسي، وأصبح لهم كيان واضح، لم يعد "**□شار**" يعبأ بالعرب، ولا يبالي بلومهم ولا يكترث لغضبهم، يقول:

Retirer le filigrane maintenant

وإنّي لَمِن قوم خرا□ان دارُهُم　　　كرام وفرعي فيهم ناضر□سق

ويقول:

من خرا□ان و□يتي في الذّرى　　　ولدى المسعاة فرعي قد □بق

كما هاجم الأعرابَ مزريا بحياتهم الوعرة القاسية، وملابسهم الغليظة، وأنسابهم المغمورة، معليا نفسَه عليهم، وذلك قولُه وقد نافست ابنتَهُ أعرابية فقيرة:

تقول□انتي إذ فاخرَتها غريبة　　　مؤزّرة في شوذَر قِدَد

لها والد راع إذا راح عندها　　　□أشوية من قلبِ ضبّ ومن كبد

□أي نجلُ أملاك وزَورُ خليفة　　　يلين له□ابُ الهمام إذا وفد

(...)

لشتّان ما□يني و□ينكِ في التُّقى　　　وفي الحسب الزّاكي وفي العيش والحَفَد

pdfelement

وله رقعة من قصيدة نظمها في عهد "المهدي"، يتهكّم فيها بالأعراب، بل بقبائل العرب النّابهة، يقول:

إذا لم تر الذّهلي أنوك فالتمس　　　له نسبا غير الذّي ينتسبُ

وأمّا□نو قيس فإنّ نبيذَهم　　　كثير وأمّا خيرُهُم فمغيبُ

وفي□َحدَر لُؤم وفي آل مِسمَع　　　صلاح ولكن درهمُ القوم كوكبُ

و□يّد تيم اللّات عند غدائِه　　　هزيز وأمّا في اللّقاء فثعلبُ

و□َيّا لُجَيم قَسوَرانِ تُنُزِّعَت　　　شباتُهُما لم يبق ناب ومخلبُ

وأنذل من يمشي ضُبَيّعَة إنّهُم　　　زعانفُ لم يخطب إليهم محجبُ

ويشكر خصيان عليهم غضارة　　　وهل يُدرك المجدَ الخصيُّ المجببُ

Retirer le filigrane maintenant

ويبلغ "**شارنرد**" أقصى غاية للشّعوبية خاصة في قصيدته البائية المشهورة، فهي أقوى شاهد على ما أوغل فيه هو وأمثاله من الشعوبيين مِنَ التبجّح على العرب والعبّاسيين.

ولم يقف "**شار**" في شعوبيته عند التشغب على العرب والتعصّب للعجم، فقد كان يقوم بتثقيف الموالي وتوعيتهم بعثا لشخصياتهم وتنشيطا لكيانهم، محرّضا لهم على الانفصال على أحلافهم والعودة إلى أجناسهم، وهذا تحريض علنيّ، وقف العربُ على مراميه، فتصدّوا له هاتفين به **(قد أفسدت علينا موالينا، تدعوهم إلى الانتفاء منّا، وترغّبهم في الرّوع إلى أصولهم وترك الولاء فينا).**

بل إنّ شعر "**شنّار**" في الشّعوبية، يشتمل على بعض مسائل الخلاف بين العرب والموالي، ويدلّ على أنّها كانت تضرب بجذورها في أعماق المجتمع العبّاسي منذ ابتداء الدولة العبّاسية، مثل قضية مساهمة الفريقين في الثّورة العبّاسية، وقضية تنافسهم في الأنساب، وقضية تسابقهم في الملك والحضارة، وما كان يتخرصه الموالي من أنّهم أصحابُ الثّورة والخلافة، وذرية الملوك ونسل الأحرار وأهل الملك والحضارة. وهي قضايا نراها شاخصة في شعره بتراكيبها وقوالبها التّي كان الشعوبيون يصوغونها فيها، ويردّ دونها في القرن الثّالث.

pdfelement

Retirer le filigrane maintenant

الحصّة التّطبيقيّة السّابعة

مناظرة أحمد بن نبل للمعتزلة حول خلق القرآن:

ممّا يُؤاخَذ عليه "**المأمون**" وهو الخليفة العالم العاقل، هو امتحانُ النّاس بقضية القول بخلق القرآن؛ ففي سنة **218** للهجرة كتب "**المأمون**" إلى "**إسحاق بن إبراهيم**" ببغداد، ليمتحن القضاةَ والشّهود والمحدّثين بالقرآن، فمن أقرّ أنّ القرآن مخلوق خلّى سبيله، ومن أبى سلّط عليه عقابه؛ فامتحن القضاة والمحدّثين، فأجابوا كلّهم بأنّ القرآن مخلوق، إلّا أربعة منهم: "**أحمد بن نبل، وسجّادة، والقواريري، ومحمّد بن نوح**"، فأجاب كلّ من "**سجّادة والقواريري**" بأنّ القرآن مخلوق لكن تقيّة (إكراها)، وأصرّ كلّ من "**أحمد بن نبل و محمّد بن نوح**" على الحقّ: (**القرآن كلام الله غيرُ مخلوق**).

من هنا حُبس الشّيخان وقُيّدا وحُملا على جمل، وبُعث بهما إلى المأمون، وكان الإمام "**بن نبل**" وهو في الطّريق يسأل الله أن لا يرى المأمون، فمات المأمون وهما في الطّريق سنة **218** للهجرة، فرُدّا إلى بغداد، ومات "**محمّد بن نوح**" في الطّريق، فغُسّل وصلّى عليه الإمام أحمد، ودُفع بالإمام إلى السّجن في بغداد.

تولّى الخلافة"**المعتصم**" بن هارون الرّشيد سنة **218** للهجرة، ولم يكن على درجة المأمون في العلم، بل كان موصوفا بالجهل. بقي الإمام أحمد مقيَّدا في بغداد يُنقل من سجن إلى سجن، حتّى حُوّل إلى سجن العامة، ومكث هناك حوالي ثلاثين شهرا. وكان يُناظره في السّجن رجلان هما: "**أحمد بن محمّد بن رباح**" و"**أبو شعيب الحجّام**"، وكانا كلّما فرغا من مناظرته زاداه قيدا على قيوده، وآلت به الحال إلى إثقاله بالقيود، وجعله في سجن ضيّق مظلم لا نور فيه.

ثمّ حُمل الإمام أحمد على دابّة إلى المعتصم في العشر الأواخر من رمضان عام **219** للهجرة، فيناظره "**أحمد بن أبي دُؤاد**"، وجُمع كثير من أصحابه في مجالس متعدّدة، يُحاجّه هذا ثمّ يحاجّه آخر.

Retirer le filigrane maintenant

والإمام أحمد في هذه المجالس المتعاقبة ثابت على كلمته، صابر، ثابت، محتسب، والنّاس بالمئات في الخارج في أيديهم الصّحفُ والأقلام والمحابر، يكتبون مايقوله الإمام أحمد. وقد أُحضر الجلّادون ومعهم السّياط، يُضرب بها الإمام حتّى يسقط، فإذا أفاق لُعن و سُبّ، والإمام في كلّ هذه الأحوال مقيَّد، وفي بعضها صائم، واستمرّ على هذه الحال ثمانية وعشرين شهرا.

والمعتصم في هذه الأحوال يرقّ للإمام أحمد ويقول: **(لولا أنّي وجدتك في يد من كان قبلي، ما عرضتُ لك)**، وكان يريد إخلاء سبيله، و"أمدن أي دؤاد" يصرفه عمّا يريد، ويُهوّل عليه سوء العاقبة إن أطلقه. وبقي الإمام يُضرب حتّى يُغمى عليه، ممّا اضطرّ "المعتصم" إلى الإفراج عنه، خوف أن يثور العامةُ ضدّه، لِما للإمام أحمد من منزلة في نفوسهم. وعاد الإمام إلى بيته ضاربا أكبر مثال في شدّة الثّبات والتمسّك بالعقيدة.

وعند تولّي **"الواثق"** الخلافة، قام بقمع الخارجين عنه، وراح الكثيرُ ضحية ذلك، ولم يسلم الإمام أحمد؛ حيث تسلّط عليه وأمر بنفيه من بغداد، فاختبأ الإمام عند أحد تلاميذه، وظلّ يتنقّل من مكان إلى آخر بعيدا عن أعين "الواثق"، حتّى هلك هذا الأخير ومات.

انفرجت الغمّةُ باعتلاء **"المتوكّل"** الخلافةَ خلفا لأخيه "الواثق"، وكان من أهل السنّة؛ فقضى على بدعة خلق القرآن، ونادى بإظهار السنّة في جميع أرجاء البلاد. وهكذا انتهت أشدّ المحن التّي واجهها المسلمون في عقيدتهم على مرّ التّاريخ الإسلامي، فلولا ثبات الإمام أحمد أمام المعتزلة لظلّ كثير من الخلق وكفر.

Retirer le filigrane maintenant